مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية

اسم المقال: الأسطورة المعاصرة بين (كاسيرر و بارت)
اسم الكاتب: نور رباح نصر، أ.م. منال مرعي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2981
تاريخ الاسترداد: 2025/06/18 05:57 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية
مجلد 39- عدد 1 (2023): 75-86

Damascus University Journal of arts and humanities sciences
Vol 39 No.1 (2023):75-86

الأسطورة المعاصرة بين (كاسيرر وبارت)

نور نصر[1] د.منال مرعي[2]

1 طالبة دكتوراه، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة دمشق.

Noor.rbah@damascusuniversity.edu.com

2 أستاذ مساعد، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة دمشق.

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة الأسطورة عند كلاً من أرنست كاسيرر ورولان بارت، والغاية من ذلك تبيان رؤية كلاً منهما لاستشفاف نقاط الاتفاق والاختلاف بينهما، حيث بينا أن كلاً من كاسيرر وبارت أولى اهتماماً كبيراً بدراسة الأسطورة بغض النظر عن موضوعها، وأن التركيز كان على أنها بنية تمثل نمطاً للوعي يبتغي الفهم وإن كان فهماً بدائياً، أو أنها وجه من أوجه الالتواء على الحقائق التي تعمل على تزييفها عن قصد وبطرق احترافية وليست بدائية، كما بينا العلاقة المتينة بنظر كليهما والتي تجمع بين اللغة والأسطورة، فعبر اللغة يتم التعبير عن شكل معين من أشكال الفهم كما يتم من خلالها ترجمة المعنى ليصبح إما لبنة أولى للفهم(كاسيرر) أو منظومة للتواصل(بارت).

الكلمات المفتاحية: الأسطورة– أداة فهم– أداة تحريف.

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص
CC BY-NC-SA 04

Contemporary myth between Caserer and Bart

Noor Naser[3] Dr. Manal Meree[4]

3 PhD student, Department of Philosophy, College of Arts and Humanities, Damascus University.

4 Assistant Professor in Department Of Philosophy, College of Arts and Humanities, Damascus University.

Abstract:

This research aims to study the myth of Ernst Cassirer and Roland Bart, and the purpose of that is to clarify the vision of each of them to trace the points of agreement and difference between them, as we showed that both Cassirer and Bart paid great attention to the study of myth regardless of its subject, and that the focus was that it is a structure that represents a pattern of awareness that seeks to understand, even if it is primitive, or it is one of the aspects of twisting the facts that is deliberately falsifying in professional and not primitive ways .we also showed the strong relation of their opinions that combine between language and myth language as a means through which a certain form of understanding is expressed and the meaning is translated to become the first foundation of understanding (Cassirer) or become communicating system(Bart).

Key Words: the myth, UnderstandingTool, Misrepresentating Tool.

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

المقدمة:

تعد الأسطورة جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الفكري للإنسان الذي يبتغي فهم العالم و التعامل معه بطرق مختلفة ومن هذه النقطة تأتي أهمية دراسة الأسطورة عند كلاً من أرنست كاسيرر ورولان بارت من كونها تمثل عند الأول ركيزة أولى في عملية فهم العالم المبهم ونقطة البداية في آلية عمل العقل، والغاية المبتغاة منها المعرفة، أما عند بارت فأهميتها تتجلى بكونها ليست أسطورة بمعنى الميثولوجيا بل أداة للتحريف والتزييف، فالأسطورة التي درسها بارت هي أساطير العصر بكونها تتراءى أمامنا بشكل يومي وبوجوه مختلفة والغاية منها إيصال رسالة لفئة محددة تُوجه لها الأسطورة عند صياغتها منذ البداية، لذا فإن مشكلة البحث تبرز عبر مفهوم الأسطورة وأهميتها ودلالتها عند كلاً من كاسيرر وبارت والوظيفة التي تضطلع بها عبر دراسة بنيتها وطريقة عملها وارتباطها المتين باللغة الذي سيتجلى عبر تشكيل المفهوم الأسطوري العاطفي أو عبر الميتالغة أي عبر أساطير العصر.

1- الأسطورة عند كاسيرر:

تعد الأسطورة مصطلحاً أساسياً من بين المصطلحات التي عالجها كاسيرر والتي شكلت بمجملها فلسفته ورؤيته للعالم والتي تتجلى من خلال الأشكال الرمزية التي يتمظهر عبرها، ألا وهي (الأسطورة- الدين- اللغة- الفن- العلم) فالأسطورة بالنسبة له لم تكن أقل أهمية من تلك الأشكال التي درسها، بل كانت كلها على قدر واحد من الأهمية كونها تضطلع جميعاً بمهمة جليلة وهي فهم وتفسير العالم، فعلى الرغم من الأشكال المتنوعة التي درسها إلّا أنه وحّد بينها من خلال الوظيفة والتي تعتبر مصطلحاً أساسياً في فلسفته كونه يشكّل الرابط الذي يوحد ويلم شتات الأشكال المختلفة.

أ- خواص الأسطورة:

تشكل الأسطورة نمطاً فكرياً يسعى إلى فهم العالم والذي يعد في مرحلة من المراحل عالم مبهم وغير مفهوم، ونقصد بتلك المرحلة المواجهة التي تتم بين الإنسان البدائي والعالم، البدائي الذي لم يتلقَ علماً ولم يُجرِ التجارب العلمية، فيجد نفسه أمام تساؤلات كثيرة ومخاوف أكثر ناتجة عن عدم معرفته بالذي يدور حوله، من هذه النقطة بالذات يبدأ بنسج أساطيره والتي تعد السلاح الفعال في تلك المواجهة، فعن طريقه سيجد "إجابات مقنعة -بالنسبة إليه- عن أسئلته الكثيرة الناتجة عن مشاهدة الظواهر الطبيعية أو الناتجة عن معاناته من أمر ما لا يستطيع إيجاد حل له إلخ... من أمور تجول داخل عقله، "**الأسطورة هي طريقة للتعبير عن نظرية الحياة**"[1] فالأسطورة تضطلع بمهمة تفسير مرضٍ للعالم يناسب القدرات العقلية الموجودة آنذاك، ولكن الأهم من ذلك كله الغاية التي وجدت من أجلها، وهي المعرفة، فالأسطورة هي إعمال للعقل وتحفيز لإيجاد الإجابات.

والآن نتساءل عن كيفية عمل الأسطورة؟ وما الطريقة التي تتبعها لإيجاد إجابات لتساؤلاتها؟

ب- طريقة عملها:

من منظور كاسيرر فإن الأسطورة تعمل عن طريق العاطفة ومن خلالها، إن الأساطير تصنع بعواطفنا فهي مليئة بها، نجد فيها الفرح والحزن و الغضب والخوف إلخ... فالأسطورة برأيه "**مسرح رمزي للنزاعات الداخلية والخارجية التي يقوم بها الإنسان**"[2]

إن كاسيرر لم يدرس الموضوعات الأسطورية المتعددة، ولم يقبل بارجاع الأسطورة إلى ظاهرة بعينها سواء كانت مادية أو نفسية أو تأملية، بل عمل على دراسة الأسطورة كنمطٍ للوعي، كبنية متكاملة، ومن دراسته لبنيتها استنتج أن العاطفة هي السمة الأساسية لتلك البنية، فمن أراد فهم أسطورة معينة عليه الغوص ضمن كتلتها العاطفية، وعلى سبيل المثال نستذكر هنا أسطورة "الخلق اليونانية" التي تحكي أنه في البدء كانت الهيولى* "**وبعد انصرا م عدّة عصور طويلة كف الهيولى عن أن يكون مجرد ظلام وفوضى فقسم نفسه كائنين ضخمين أو إلهين عظيمين هما جايا أو الأم الأرض وأورانوس أو السماء**"[3] ومن تزاوج هذين الإلهين أنجبا آلهة متعددة كآلهة البحر والقمر والشمس إلخ... يدور بينها الخصام والعراك على الحكم،

إن مثل تلك الأساطير ناتجة عن اصطدام الإنسان البدائي بالكون الغامض، فتلك المواجهة هي التي تجعله يتساءل حيال الأمور التي تجري أمامه، عندها أيضاً سيحاول إيجاد إجابات تخفف من مخاوفه وتعطيه بعضاً من الراحة والطمأنينة، لكن السؤال هنا هو ماهي طبيعة تلك الإجابات؟

إن إجاباته تلك لن تكون عقلية بحتة بل ستكون عاطفية، والسبب وراء ذلك يعود إلى أن البدائي يعمل على إسقاط نفسه على الطبيعة، أي أنه يؤنسنها، وهذا الإسقاط ناتج عن الرغبة في الفهم والمعرفة، فمعرفة الظواهر التي تجري أمام الإنسان في هذا

---

[1] Cassirer Ernst,the phelosphy of sympolic form, translated by Palph Manheim, yale university press,1981, p35.

[2] جون شوفالييه وآلان قيربرانت، معجم الرموز، ترجمة فيصل سعد، مجلة ألباب، العدد السادس، مؤمنون بلا حدود، 2015، ص 11.

* مزيج من الكل بمعنى اللاتعين- اللاتحدد.

[3] سلامة أمين، الأساطير اليونانية أو الرومانية ،دار الثقافة العربية، 1988، ص 12 .

النمط من الوعي أي الشكل الأسطوري لا تتم دراستها عبر التجزئة والتقسيم كما يفعل العالِم، بل إنه ينظر نظرة كليّة تركيبية يكون وفقها جزءٌ لا يتجزأ من التيار الكوني أو من الطبيعة المحيطة به.

إذاً يمكن القول أن الفهم يتم عبر أنسنة الطبيعة وزج النفس في تيارها الكلي فلا يمكن في الأسطورة مواجهة أي شيء مواجهة جامدة وكأن الشيء الذي أمامنا بلا روح، بل يجب مواجهته من خلالنا أي من خلال مشاعرنا وعواطفنا المتنوعة، إن مزيج العواطف كسبيل للفهم الأسطوري يستحضر في أذهاننا نيتشه وفكرته حول القوى المتصارعة المتمثلة ب (ديونيزيوس) إله الخمر والنشوة، ومهمته تكمن في نثر روح الفرح والبهجة والاحتفال، أما (أبولون) فيمثل إله الاعتدال والجمال والهدوء، فهذان الإلهان يرمزان للصراع الفعال والإيجابي الذي يُنتج الحياة بأكملها، فنحن " **نشاهد الصراعات والعذاب والتدمير الذي يلحق بالظاهرات كضرورة، وبوجود حركة التوالد الأبدي...إلى الحياة للخصوبة...وبرغم كل هذه المخاوف تحملنا السعادة على جناحيها**"[1]

بدوره أكّد كاسيرر أن الأسطورة بنية مليئة بالعواطف التي من خلالها نستطيع رؤية الظواهر كلها "**عالم الأسطورة عالم دراميٌّ– عالم أعمال وقدرات وقوى متصارعة، والأسطورة ترى الاصطدام بين تلك القوى في كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة والإدراك الأسطوري مفعم دائماً بهذه الخصائص العاطفية، فكل ما يرى أو يحس محاطٌ بجوٍّ خاصٍّ – جو من الفرح أو الحزن أو العذاب، والهياج والاستبشار والغمّ**" [2].

إن الطبيعة العاطفية الخاصة بالأسطورة تحتم علينا التعامل مع أحداثها بطريقة عملية دينامية بعيدة عن التجريد والتمركز، فهي لا تظهر على شكل أفكار مجردة بل من خلال قالب عاطفي تندمج من خلاله الفكرة بالعاطفة ليعبر عنها بالعمل، وهذا ما أكد عليه كاسيرر من خلال قوله إن " **الأسطورة ليست نظاماً من العقائد الجازمة، وإنما تتضمن عملاً أكثر ما تتضمن صوراً وتمثيلات... وحتى لو نجحنا في تحليل الأسطورة إلى عناصر فكرية حاسمة لا نستطيع...أن نقع على مبدئها الحيويّ، لأنه دينامي ليس ثابتاً، ولا يمكن وصفه إلا من خلال العمل، فالإنسان البدائي ... يعبر عن مشاعره وعواطفه...بطريقة محسوسة ومباشرة**"[3]

من هذا الكلام نستطيع القول إن الأسطورة ليست أفكاراً مجردة ولا تمتلك مبدأ ثابتاً، بل أنها تمتاز بنشاطها العملي المتنوع ، لكن يمكن القول إنها تنطوي على " معنى عقلي" يمكن ترجمته من خلال " وحدة الشعور" والتي أتينا على ذكرها سابقاً، فتلك الوحدة بمثابة منهج يتعامل مع الأحداث بطريقة " تركيبية" ، لا يصنف ولا يقسم بل يوحّد ضمن بوتقة الكل، "**لقد آمن الإنسان البدائي بأن العالم كان مليئاً بقوّة غير منظورة الأورند...(قوة الروح) عند الهنود الأمريكيين**"[4] وأن كل ما يراه البدائي عبارة عن "**كل مستمر لا ينقطع ولا يقبل تعريفات حاسمة صارمة**"[5] فالأنا داخل الكل والكل يحيط بالأنا داخل بوتقة من المشاعر والعواطف المتنوعة والمتعددة، وتلك الأنا تفهم وتعرف من خلال العاطفة التي بدورها تكوّن الصفة الرئيسية للبنية الأسطورية، لكن السؤال الواجب طرحه هنا كيف يتم التعبير عن هذا الفهم؟

ت- آلية التعبير:

إذا ما أراد الإنسان أن يعبر لفظياً عمّا يجري حوله، فإن ذلك يكون عبر "لحظة الانفعال"، إن لحظة الانفعال تلك تتطلب وجود ذات تنفعل حيال حدث ما، وهذا الانفعال هو عبارة عن استحواذ جلّ انتباه الذات المنفعلة وعبر هذه المماحكة بين الذات والحدث تنطلق التسمية وتتجسد، إذاً نستطيع القول أن أصل التسمية أيضاً يرجع إلى العاطفة، فالانفعال سواء كان يحمل في طياته انفعالاً فرحاً أو انفعالاً مليئاً بالخوف أو بالحزن إلخ... هو انفعال مفعم بالعاطفة، ونستطيع القول أيضاً إن التسمية أو الكلمة في هذا الأسطوري هي خليقة اللحظة لحظة الانفعال.

إن الكلمة أو التسمية تمارس دوراً مهماً في عملية الفهم، فإن أي شيء يظهر أمامنا تنتابنا رغبة لمعرفة ما هو أو بالضبط ما هو اسمه، ما الذي يطلق عليه، لأننا عندما نعرف الاسم الخاص به نستطيع أن ننطلق بالحديث عنه.

إن الكلمة المُنتجة من خلال الانفعال تشكل المفهوم الأسطوري الذي بدوره يخص حدثاً فريداً، ينتج عن انفعال ذات حياله، فأصبح مشحوناً بعاطفتها، إن "التفرد" بالمنظور الكاسيرري يعني مفهوم عاطفي لحدث واحد بعينه.

2- علاقة اللغة بالأسطورة:

أولى كاسيرر اهتماماً شديداً باللغة كونها تعد وسيلة للفهم مثلها مثل الأسطورة، والفهم يتم في هذا النمط أي النمط اللغوي من خلال موضعة الأشياء عبر مسمياتها، وذكرنا فيما سبق أن المفهوم الأسطوري عندما يتشكل تتكون لدينا اللبنة الأولى للفهم الذي

---

[1] نيتشه فردريك، مولد التراجيديا ، ترجمة شاهر حسن عبيد، دار الحوار، ط1، 2008، ص 197-198.

[2] كاسيرر أرنست ، مدخل إلى الحضارة الإنسانية أو مقال في الإنسان، ترجمة إحسان عباس، دار الأندلس بيروت، 1961،ص 147-148.

[3] كاسيرر أرنست، مقال في الإنسان، مرجع سابق، ص 151-152.

[4] كولن ولسن ، الإنسان وقواه الخفية، ط2، دار الآداب بيروت، 1978، ص5.

[5] كاسيرر أرنست، مقال في الإنسان، مرجع سابق، ص 155.

لن يكون حاضراً إلا عبر إعطاء الأشياء مسمياتها، من هذا المنطلق راح كاسيرر يبحث عن الأصل الدفين وراء التسمية والذي وجده كامناً في الأسطورة، صحيح أن اللغة والأسطورة شكلان لكل منهما ميّزاته وخواصه والتي تجعله يتميز عن غيره، لكن بالمقابل ما يجمع هذان الشكلان هو مفهوم الوظيفة، فوظيفة كلٍ منهما الفهم، فاللغة تفهم العالم من خلال ما يسمى "التمثل" والذي يعني إعطاء المسميات للأشياء عبر استخلاص الصفات الظاهرة فيه أكثر من غيرها، أما الأسطورة فإنها تفهم العالم من خلال العاطفة التي تشكل المفهوم الأسطوري المتفرّد والذي يمثل حدثاً بعينه وبأكمله، إذاً الوظيفة واحدة مع اختلاف الوسائل، ولكن هنا علينا أن نكون على علم بكون المفهوم الأسطوري يمتلك قوة سحرية، فهو بالنسبة للبدائي يعمل على قلب الأحداث إما لصالحه أو ضده، إنه بالمختصر يشكل العالم، وإذا ما تساءلنا من أين أتت تلك القوة السحرية للكلمة في هذا النوع؟ سنجد الإجابة تكمن في اعتقاد الإنسان البدائي بأن الطبيعة تحس وتفهم مثله، فكان يخاطبها بلغته، وعن طريق المصادفة كانت تحدث أمور تخيّل له أن الطبيعة قد استجابت، هنا بالضبط يتشكل لديه اعتقاد بأن كلمته السحرية هي التي جعلت الطبيعة تستجيب، ففي الشكل الأسطوري الكلمة متجسدة وذات قوام مادي ناتج عن الاعتقاد بقدرة الكلمة السحرية على تغيير الأشياء، فهناك رواية مصرية تقص علينا **"كيف أن إيزيس الساحرة الكبرى، خدعت الإله رع وأقنعته بأن يفشي لها اسمه، وكيف أنها اكتسبت من خلال امتلاك الاسم القوّة عليه وسيطرت على جميع الآلهة الأخرى"**[1] وكأن اسم الإله يشكل وجوده، فهما متحدان معاً لا ينفصلان، فأصبحت الكلمة من هذا المنطلق **"نسق الوجود"** فعبر اتحادها بالإله اكتسبت أيضاً صفة القداسة الناتجة عن التماهي بين الكلمة وما تدل عليه في الشكل الأسطوري الذي يجعل للكلمة سحراً.

إن الاسم هو كلمة ولكنه يعني الشخص الذي يحمل ذاك الاسم، فهو ليس رمزاً لصاحبه بل الاسم هو الشخص بعينه، من هذه الناحية ترتبط اللغة بالأسطورة بالمنظور الكاسيرري والذي تجلى عبر سحر الكلمة، لكن هناك ناحية أخرى لارتباطهما معاً ألا وهي الاستعارة الرمزية.

3-الاستعارة الرمزية:

تشكل الاستعارة الرمزية الوجه الآخر لارتباط اللغة بالأسطورة عند كاسيرر، ولفظة الاستعارة تعني المجاز أو **"استعمال أيّة لفظة في غير معناها المعجمي... لوجود علاقة بين المعنى اللغوي الأصلي لهذه اللفظة والمعنى المجازي الجديد"**[2] أمّا معنى الاستعارة بالنسبة لكاسيرر فهي كما أسلفنا الوجه الآخر للعلاقة بين اللغة والأسطورة.

لقد مثل كاسيرر العلاقة تلك بشجرة لها فرعان أحدهما اللغة و الآخر الأسطورة ، فهما **"فرعان متمايزان من جذر واحد"** [3] ، إن هذا الجذر يكمن في التّصور العقلي لكليهما والذي ينبع التفكير الاستعاري، والذي بدوره يتكون من تطابق شعور نفسي مع حدث خارجي، وفي هذا الحدث تجد النفس أجزاءً ذات تأثير أقوى من الأجزاء الأخرى، فبدورها تركز على الأجزاء الأكثر تأثيراً فيها، والتي استثارتها أكثر من غيرها، لتعبر عن ذاك الحدث بأجزائه الأكثر تأثيراً من خلال النطق، أي عبر الكلام الذي يكون علاقة تطابق أو تمثل بين الكلمة والشيء المعبر عنه بتلك الكلمة. إذاً نستطيع القول إن الاستعارة تنم عن تصوراتنا الفكرية والتي نعبر عنها عن طريق اللغة، حيث إن الاستعارة *تتم في الطور الأسطوري من خلال فصل حدث معين عن مكانه الطبيعي الاعتيادي إلى مكان آخر غير اعتيادي، كأن نرفع من شأن الحدث العادي إلى مرتبة المقدس فعندئذ يحدث تحول للحدث، ويعبر عنه بمقولة مختلفة* [4] * كأن نعبر عن حدث ما عن طريق لفظ لا يمثل مباشرة الحدث وإنما يدل عليه بطريقة استعارية، كأن استعير لفظ لهب لأعبّر عن حالة قوية من الحب أو أن نقول عن شخص غاضب أن عقله قد رحل وكأن عقله شخص يستطيع الرحيل.

هكذا نرى أن كاسيرر أولى اهتماماً شديداً لتبيان العلاقة التي تجمع بين اللغة والأسطورة حيث يرى أن كليهما نتاج منبع عقلي واحد وأنهما يشتركان في الأصل والنشأة.

إن الغاية من الحديث عن الاستعارة الرمزية هي تبيان العلاقة بين اللغة والأسطورة حيث أن التعبير عن الأشياء من خلال الاستعارة يشبه إلى حد ما التعبير عن الأشياء من خلال الأسطورة فكلاهما يعبر عن الأشياء بطريقة غير مباشرة، ففي الاستعارة نعبر عن الحدث بكلمة لا تشبهه أي أننا نستعير لفظاً معيناً للتعبير عن حدث ما مجازياً كاللهيب والحب كذلك الأمر في الأسطورة نعبر عن الحدث مجازياً عبر استعارة أحوال النفس الإنسانية وإسقاطها على الطبيعة كأن يقول البدائي عن صوت الرعد أنه صوت الآلهة.

نستطيع مما تقدم القول إن الأسطورة في المنظور الكاسيرري شغلت مكاناً هاماً لا يمكن غضّ البصر عنه، فهي من خلال بنيتها العاطفية استطاعت ملامسة ما هو موجود فينا، بمعنى أنها لم تكن دخيلة بل والفت عواطفنا، وعملت على استثارة انفعالاتنا، من

---

[1] كاسيرر أرنست، اللغة والأسطورة، ترجمة سعيد غانمي، ط1، كلمة، 2009، ص 94.

[2] المسيري عبد الوهاب، اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، ط1، دار الشرق، 2002، ص 12.

[3] كاسيرر أرنست، مقال في الإنسان، مرجع سابق، ص 198.

[4] *كاسيرر أرنست، اللغة والأسطورة، مرجع سابق، ص 157-158(بتصرف).

خلال نظرتها الكلية للكون الذي تسعى إلى تفسيره من خلالنا أي من خلال أنسنته، وهي في محاولتها تلك قد قربت بشكل كبير بين الإنسان ومحيطه.

4-الأسطورة عند رولان بارت:

عالج بارت الأسطورة من منظور معاصر، فهو لم يعنَ بالجانب الميثولوجي، بل كان جلّ اهتمامه موجهاً إلى الأشكال التي تظهر بها اليوم، بمعنى أنه لم يدرس أو يحلل الأساطير الموروثة التي كانت موجودة في الأزمان الماضية واليوم انقضت، ولم ينظر إليها على أنها قصة تحمل صفة القداسة، فالآلهة والتي هي أبطال الأسطورة بشكل عام والتي أخذت الأدوار الرئيسية في الأساطير القديمة، لم تكن ضمن دائرة اهتمامه أو دراسته بل إن كل ما كان يريده بارت هو مواجهة أساطير العصر، تلك الأساطير التي نعيشها اليوم والتي أصبحت واقعاً مفروضاً، إن تلك الأساطير تشكل مجموعة من الأفكار والرؤى التي تواجهنا وتظهر لنا في شتى مجالات حياتنا، بمعنى أنها تظهر في أشكال متعددة ومتنوعة فهي ليست محصورة بشكل معين، فقد تتراءى في المسرح أو السياسة، في الفن أو اللعب إلخ...، لكن المنبع الأساسي لها يكمن في اللغة، فإذا كان كاسيرر درس أوجه العلاقة بين اللغة والأسطورة فإن كاسيرر درس الأسطورة في اللغة ومن خلالها، لذا إن أردنا معرفة كيفية تشكل الأسطورة فإنه يتوجب علينا العودة إلى اللغة والتي بدورها ستساهم بمعرفة الطريقة التي يتشكل من خلالها الخطاب الأسطوري.

اعتبر بارت اللغة نافذة نطل من خلالها إلى العالم، فهي الأداة المشكلة للفهم، وهي القالب الذي يتموضع داخله المعنى، لذا طبق بارت علم اللسانيات على كافة مناحي الحياة وجعله العلم الأساسي والذي يتفرع عنه السيميولوجيا، وذلك بعكس فردينان دي سوسير الذي رأى أن السيميولوجيا هي العلم الأساسي واللسانيات هي الفرع من ذاك العلم، والغاية من وضع علم اللسانيات في تلك المكانة ترجع إلى اعتقاد بارت بأن أي شيء نريد فهمه أو استخراج دلالته يقتضي منا العودة إلى اللغة ف "**المعنى لا يوجد إلا مسمى وليس عالم المدلولات شيء آخر غير اللغة**" [1] .

إن المعنى يظهر بأشكال مختلفة كاللباس أو الطعام أو في لوحة فنية أو بالموسيقى "**في أيام الإضراب يعزف الراديو موسيقى سيئة فقط**"[2] لكن لا يمكن ترجمته من دون اللغة، بمعنى أنه سيبقى عالقاً في الشكل الذي ظهر به إلى أن تستخرجه اللغة، إذاً هي نظام شامل يحتوي بداخله كل النظم الدلالية، والتي جمعها بارت تحت أربع عناوين نابعة من اللسانيات بكونه العلم الأساسي والذي تندرج تحته باقي العلوم وهي: اللسان والكلام- الدال والمدلول- المركب والنظام- التقرير والإيحاء، وسنمر على كل واحدة منها باختصار للوصول إلى الكيفية التي تتشكل من خلالها الأسطورة.

أ- اللسان والكلام:

يشكل اللسان بالمنظور البارتي قاعدةٌ كبرى أو نسقاً أساسياً يحوي داخله كل القواعد اللازمة للكلام، حيث يشكل اللسان يشكل الجانب المجتمعي من اللغة، بمعنى أنه ليس من صنع فرد بعينه، لذا تكون قواعده مُلزمة، فاللسان "**لغة بلا كلام: إنه مؤسسة مجتمعية... وليس في مقدور الفرد وحده أن يغيّره، وهو أساساً عقد جماعي، على كل من يرغب في التواصل أن يرغب في التواصل أن يخضع له كلية**" [3] ، بالمقابل يتميز الكلام بأنه فعل فردي، أي منطوق من قبل الذات، والتي في نطقها تخضع لقواعد اللسان، ولكنها تتكلم من خلال إمكانياتها اللسنية، أي معرفتها كثيراً أو قليلاً بالقواعد، وإمكانياتها الفيزيولوجية (كالصوت) على سبيل المثال، إذاً يمكننا القول أن العلاقة وطيدة بين اللسان والكلام بحيث لا يستطيع أن يوجد أحدهما دون الآخر، وهذا ما أكده بارت، لكنه فصل بينهما حينما أراد دراسة أنظمة اجتماعية لكنها غير لسنية كالطعام واللباس، لنضرب مثالاً على اللباس فالقاعدة تكون ارتداء التنورة مع جورب طويل في مكان ما أو ثقافة معينة، هنا يكون كلام اللباس شخص يرتدي هذا اللباس، لذا ومن رغبته في دراسة أنظمة غير لسنية أدخل مصطلحاً ثالثاً وهو "الاستعمال"، فصحيح أنها تفتقر للكلام لكنها ذات طبيعة نفعية.

ب- الدال والمدلول:

لم يعالج بارت ثنائية الدال والمدلول على المستوى اللغوي فقط بل أعطاها بعداً أعمق من خلال معالجتها سيميائياً، أي أنه درس الدال والمدلول في مجالات مختلفة غير اللغة، يرى بارت أن الدال والمدلول يرتبطان معاً بعلاقة ألا وهي الدليل وهو بذلك يوافق دي سوسير الذي يرى أن الدليل يشكل "**وحدة صورية سمعية ومفهوم**" [4] ، أيضاً يتفق مع يالمسيلف الذي أدخل على كل طرف من أطراف الدليل أي (الدال والمدلول) أدخل عليهما صعيد، ليكون صعيد الدوال هو العبارة وصعيد المدلولات هو صعيد المحتوى وأضاف يالمسيلف على هذين الصعيدين " شريحتين" هما الشكل والماهية، فالشكل يتضمن القواعد والتراكيب أي كل ما

---

[1] بارت رولان، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، ط2، دار الحوار للنشر والتوزيع، 1987، ص 31.

[2] Roland Barthes, Roland Barthes by Roland Barthes, translated Ricarrd Howard, university of California,1977, p172.

[3] بارت رولان، مبادئ في علم الأدلة، مرجع سابق، ص 34.

[4] بارت رولان، مبادئ في علم الأدلة، مرجع سابق، ص 65.

يمكن وصفه من خلال اللسانيات أما الماهية وبها يكمن بيت القصيد فهي تشكل ظواهر علم اللسانيات، لكن لا يمكن وصفها من خلال هذا العلم، بمعنى أننا من خلال الماهية نعالج الأنساق المجتمعية غير اللغوية، فالماهية على مستوى العبارة *تهتم على سبيل المثال بالصوت والصوت يهتم به علم الأصوات*[1] أما الشكل يهتم بالقواعد التي تحتكم إليها العبارة.

أما على مستوى المحتوى فإن الماهية تعمل على المدلولات وما تحمله من مظاهر عاطفية وأيديولوجية والشكل هو "**التنظيم الصوري فيما بين المدلولات بواسطة غياب أو حضور علامة دلالية**"[2] أي ترتيب وتنظيم المدلولات المتعددة الناتجة عن دال معين حسب المجال الذي يستخدم فيه، كالضوء في قانون السير، والذي تكون مهمته تنظيم مرور السيارات، لكن استخدامه ومعناه يختلف باختلاف الأنساق التي يوجد فيها.

يمكن القول إن تقسيمة الشكل والماهية ساهمت في تبيان العلاقة بين الدال والمدلول وتوضيحها بالنسبة لبارت، فعلى المستوى اللسني تنحصر العلاقة بينهما في المستوى اللغوي، فالدال يفضي إلى مدلولات من خلال "الامتداد" حب ←عشق ← هيام، أما على المستوى السيميولوجي فالمدلول يفضي إلى مدلولات يعبر عنها لغوياً لكنها تحتكم إلى الثقافة والأيديولوجيا من خلال ما أسماه بارت الاستعمال، فاللباس يصلح للتغطية ولكنه وبفضل المجتمع يصلح لأن يكون شيئاً آخر كأن يعبر عن طبيعة اجتماعية معينة.

ت- المركب والنظام:

إن المركب والنظام يشكلان محور اللغة، أما المركب فهو الذي من خلاله نستطيع تأليف جملة مترابطة، كل عنصر فيها له مكانته وقيمته بالنسبة للعناصر السابقة واللاحقة، بمعنى أنه يرتبط بالذي قبله وبالذي بعده ولا نستطيع ذكره مرتين في آن معاً لأن ذلك يؤدي إلى تشويه المعنى أو عدم حضوره. أما النظام فيعمل على تجميع الألفاظ المتشابهة بالصوت أو المعنى مع بعضها في الذاكرة فإذا حضرت واحدة استدعت غيرها إما عن طريق التشابه بالمعنى مثل تعليم- تدريس- تلقين أو عن طريق المشابهة بالصوت مثل علّم- عِلم- عالِم، أما المعنى فيمكن استخراجه بالمركب عن طريق تقطيع الجملة إلى دوال ومدلولات وفي النظام يمكن استجلاؤه من خلال التصنيف، أي تصنيف الكلمات المتشابهة بالصوت أو المعنى، إذاً المركب والنظام مرتبطان ببعضهما، ووجود كلٍ منهما يكمل الآخر، وكمثال على العلاقة بينهما نذكر مثال الأثاث:

النظام	المركب
سرير أبيض	أثاث كامل
سرير بني	سرير
سرير كبير	خزانة
سرير صغير	علاقة ثياب إلخ...

ث- التقرير و الإيحاء:

إن كل العناصر اللسنية التي ذكرناها كانت الغاية منها الوصول إلى "التقرير والإيحاء" لأن الإيحاء يلعب دوراً رئيسياً في تشكل الأسطورة عند بارت بوصفها نسقاً لغوياً ثانياً ناتج عن نسق لغوي أول فعلى الصعيد اللغوي الأوّل لدينا (ع ق ض) والتي تعني العبارة (ع) وعلاقتها (ق) بالمضمون (ض) أي دال ومدلول ودلالة وهذه المعادلة بشكلها هذا من الممكن أن تصبح كلها عبارة عن دال في نسق لغوي ثانٍ لتصبح على الشكل التالي:

دال ← مدلول ← دلالة

↓

(دال ومدلول ودلالة)

هذا الدال مهمته الإيحاء، والمقصود بالإيحاء المعنى الذي لا يفهم بشكل مباشر كما في اللغة، بل يحتمل معانٍ متعددة، لذا فإنه جزء من الأيديولوجيا، لذا يمكن القول إن النظام الإيحائي يتشكل من نظام تقريري سواء على مستوى الدال أو المدلول، لكن من الممكن أن يكون هناك أكثر من دليل على المستوى التقريري لتشكيل موحٍ واحد، ومدلول الإيحاء يتميز بأنه عام وشامل فهو كما قلنا جزء من الأيديولوجيا أي جزء من الثقافة والتاريخ فعلى سبيل المثال "**مجموع الرسائل الفرنسية مثلاً، يحيل إلى المدلول فرنسي**"[3]

والسؤال الواجب طرحه الآن هو: كيف تتشكل الأسطورة؟ تتشكل الأسطورة من الإيحاء، والذي يعني عدم وحدة المعنى بل تعدده بتعدد القائلين به، وهذا التعدد يعود إلى أن كل شيء بالكون موحٍ، أي أنه ينطوي على معانٍ متعددة، والذي يجعل الأشياء في الكون كله موحية هو "الاستعمال" الذي يفرضه التاريخ البشري على الأشياء، فالشجرة هي الشجرة المثمرة وهي شجرة عيد الميلاد

[1] بارت رولان، مبادئ في علم الأدلة، مرجع سابق، ص 67.

[2] بارت رولان، مبادئ في علم الأدلة، مرجع سابق، ص 67.

[3] بارت رولان، مبادئ في علم الأدلة، مرجع سابق، ص 138.

وهي شجرة في قصيدة كرمزٌ لثورة أو لوطن إلخ...، من هذه النقطة بالذات –ونقصد الجانب الإيحائي– تنبثق الأسطورة عن طريق اللعب بالمعنى وذلك من خلال حرفه أو الالتواء عليه.

5–كيف يدرس بارت الأسطورة

يمكننا القول إن الأسطورة بالمنظور البارتي لا تدرس من خلال موضوعها أو مادتها، مثل الأسطورة الكاسيررية، لأن أي مادة يمكن أن تصبح أسطورة عندما يتم العمل عليها حسب الغاية أو الهدف أو المصلحة المتوخاة من وراء ذلك، لكن بارت بخلاف كاسيرر أورد نماذج كثيرة عن دراسة الأسطورة *لا لأنه يريد دراسة مواضيع أسطورية معينة بل لكي يبين لنا أن أي موضوع يمكن أن يصبح أسطورة، أما كاسيرر لم يذكر نماذج معينة لأنه شدد على أنه يرفض دراسة الأسطورة من خلال موضوع معين بل إنما يريد أن يدرسها كبنية كلية لها مفاهيمها ووظيفتها، لذا فإن الجانب المهم والذي من خلاله يدرس بارت الأسطورة هو الكلام بوصفه منظومة تواصل وليس القصد من "الكلام" أن الأسطورة محصورة بنمط لغوي معين بل قد تكون في عرض مسرحي أو في غلاف مجلة أو مقال في صحيفة، فقد تتجلى في كل شيء، ولكن الأهم أنها تكوّن رسالة تصل إلى متلقٍ من خلال استخدام العلاقة المشكلة في النظام اللغوي باعتبارها لسان أوّل وتحويلها إلى لسان ثانٍ شكّل بموجبه الأسطورة، فإذا كان اللسان الأول يتشكل من دال ومدلول ودليل فإن اللسان الثاني أي الأسطورة يتشكل من شكل ومتصور ودلالة.

6–الأسطورة كمنظومة:

إن الأسطورة لسان ثان يرتكز أو ينتج من لسان أول على صعيد اللغة ولسان الأسطورة يتكون من شكل ومتصور وعلاقة تربط بينهما ألا وهي الدلالة.

أ– الشكل:

يتكون الشكل الأسطوري من جانب ممتلئ وهو المعنى المتأتي عبر اللسان الأول أي اللغة، والشكل يمثل الجانب الفارغ الذي سيملأ لاحقاً، بمعنى آخر مؤدلج، إن الشكل هو المكان الذي سيلعب فيه الإيحاء دوره، فالشكل سيملأ بمنعىً منقوص ويحور ليوحي برسالة مضمرة يُراد إيصالها إلى فئة معينة وستتوضح الفكرة عبر المثال الآتي: يقول بارت في مثال استعان به لتوضيح الكلام الأسطوري: **"أنا عند الحلاق، ويقدم لي عدد من باري ماتش** paris-maich: **على الغلاف شابٌ زنجيٌّ يلبس زيّاً عسكرياً فرنسياً ويؤدي التحية العسكرية وعيناه مرفوعتان ومثبتتان بلا شك على طيّ علم ثلاثي اللون. هذا هو معنى الصورة لكني سواء كنت ساذجاً أم لم أكن كذلك، فإني أفهم جيداً ما تعنيه الصورة لي"**[1] ما الذي تعنيه هذه الصورة وما الذي قصده بارت بكلامه هذا؟

ضمن المستوى اللساني الأول هناك حكاية جندي ذو بشرة سوداء يعاني الاضطهاد أو التمييز العنصري فقيرٌ لا مردود له انتسب للجيش الفرنسي ووقف يحيي العلم، لكن الشكل تكمن مهمته في العمل على إنقاص المعنى وتنحيته ولكن دون إلغائه، بل لا بد من وجوده وبقائه كمخزون احتياطي يتم الاستعانة به كل ما احتاج الأمر إلى ذلك، إنه يعمل على تفريغه من محتواه لإكسابه معنى من نوع آخر يوحي بأن هذا الزنجي وهو يحيي العلم يظهر الولاء لدولة فرنسا والذي بدوره يكون ردّاً على كل من يقول أن فرنسا دولة عنصرية تميز بين أبنائها، يمكن القول إن دال الأسطورة ملتبس **"فهو في الآن نفسه معنى وشكل، مليء من جهة وفارغ من الأخرى"**[2]

إنه حاضر بقوّة ووجوده حقيقي، أي أننا نراه أو نسمعه، فصفحة غلاف المجلة مثال على حضور الشكل وإمكانية تلقيه دفعة واحدة، إنه ليس معنى نفسياً كما المعنى المتأتي من اللسان بحسب سوسير والذي أشار إلى أن العلاقة بين الدال والمدلول ذات طابع نفسي، بل إنه معنى موجود وواضح.

إن العلاقة بين الشكل والمضمون هي علاقة تناوب، أي أنه من غير الممكن وجود واحد منهما دون الآخر، بل إن وجود إحداهما يكمل الآخر، فلا المعنى يتحول إلى أسطورة دون شكل يحوره ولا الشكل يتحول إلى أسطورة دون معنى يحرّفه.

ب– المتصوّر:

يقع المتصور مقابل الشكل، وتكون مهمته إكمال ما بدأه الشكل عن طريق استحضار التاريخ، استحضار غير موضوعي، فإذا كان الشكل يفقر المعنى مع الإبقاء عليه بصورة مغيبة لإحلال معنى آخر مكانه، فإن هذا المعنى سيأتي عبر المتصوّر بصفته **"المحرك الذي يجعل الأسطورة تتكلم"**[3] .

---

* راجع كتاب أسطوريات حيث خصص بارت القسم الأول منه لعرض موضوعات أعتبرها أساطير العصر ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر أسطورة دماغ أنشتاين الذي وقع برأي بارت تحت وطأة أسطرة الحياة اليومية فقد تنازل عن عقله بعد موته لكي تتم دراسته ومعرفة الإعجاز الموجود به من خلال تتبع الموجات الكهربائية الخاصة به وهو يفكر بالنسبية وبهذا يكون قد تم التعامل مع هذا الدماغ بأنه قطعة أو آلة بالإمكان تفكيكها أو على أنه منتوجاً قابلاً لأن يقاس بجهاز كهربائي.

[1] بارت رولان، أسطوريات، ترجمة توفيق قريرة، ط1، منشورات الجمل، 2018، ص 243.

[2] بارت رولان، أسطوريات، مرجع سابق، ص 244.

[3] بارت رولان، أسطوريات، مرجع سابق، ص 246.

إن عمل الأسطورة لا يكتمل إلا عبر المتصور ومن خلاله، لأنه جزء من التاريخ وهو الذي يصنع الأسطورة من خلال "القصدية" التي يتسم بها، فالمتصور محمل بقصة، وهذه القصة بدورها موجهة إلى فئة معينة،

يمكن القول إن المتصور هو عراب الشكل، فمثال الزنجي الذي يحيي العلم خير دليل على ما نقول.

إن الناظر إلى هذا الجندي المحيي للعلم يكون أمام معنى مختزل ولكن هذا الناظر ذاته إذا ما نظر إليه على أنه متصور سيكون أمام تاريخ عالم بأسره ، **"أمام تاريخ فرنسا العام (سيرتبط) بمغامراتها الإستعمارية وبصعوباتها الراهنة"**[1] أي أنه يعكس التاريخ، لكن السؤال كيف يعكسه؟ هنا نحن بصدد فكرة ذات أهمية ألا وهي أن المتصور لا يعكس التاريخ بأمانة، بل سيحرف ويلتوي ويزيف بحسب الغاية المتوخاة وبحسب الهدف الذي يرصده منذ البداية لصالح فئة معينة.

إذاً للمتصور وظيفة يعكسها من خلال الشكل، ولكن من الممكن أن يستعين المتصور (كتاريخ فرنسا) بأشكال عديدة ليعكس من خلالها وظيفته، فلا يقتصر على صورة الجندي الأسود المحيي للعلم ليبين أن فرنسا ليست عنصرية كما يقال عنها ولا تميز بين أبنائها، أيضاً **"بمقدوري أن أجد ألف صورة تدلني على الاستعمارية الفرنسية"**[2] إذاً من الممكن أن نستخدم آلاف الدوال (كصورة الجندي) لمدلول واحد (دحض العنصرية عن تاريخ فرنسا)، فالمتصور فقير كمياً بالنسبة للشكل، فإذا كان الفقر على مستوى الشكل كان في المعنى، يكون على مستوى المتصور في الكم أي في طرق التعبير عنه، والأشكال المتعددة تلك تجعل المتصور يكرر نفسه بطرق مختلفة.، بمعنى بإمكان فرنسا استخدام أشكال متعددة غير صورة الجندي كالاستعانة بفلم قصير أو بأغنية معينة لتبعد عن نفسها لقب العنصرية.

من هذا الطرح يمكن القول إن قراءة الأسطورة تتم من خلال الإلمام بالمتصور لكن ليس عبر المعاجم اللغوية رغم أهميتها في المساعدة على توضيح المعاني المتعددة لكن الأهم هو الإلمام بالمتصور التاريخي وربطه بمحدداته.

ت- الدلالة:

إن الدلالة هي الأسطورة المتجلية أمامنا بتمامها وكمالها، فهي الحد الذي يربط الشكل بالمتصوّر، إن الدلالة هي الناتج الأخير من ارتباطهما معاً، فالأسطورة توحد بينهما، وتكون مهمتها تحريف وتزييف الواقع وليس إلغاءه، إن التحريف يتم عبر نسج المتصور والذي بدوره يتجه إلى المعنى ليفقره من خلال إعطائه شكلاً يخدم هذا المتصور، هذا يعني أن الحضور سيكون لأحدهما على حساب الآخر، فلا يمكن للشكل والمعنى أن يحضرا معاً، فعندما يحضر المعنى يغيب الشكل، وكذلك الأمر عندما يحضر الشكل يغيب المعنى، ويعطي بارت مثالاً يوضح من خلاله هذا الكلام، **"فإذا كنت في سيارة وأنا أنظر إلى مشهد من خلال النّافذة، فإني أستطيع أن أركز حسب رغبتي إمّا على المشهد وإمّا على البلور، فتارةً يحيط ذهني بوجود الزجاج وبمسافة المنظر الطبيعي، وطوراً ألمح، على العكس من ذلك شفافية الزجاج وعمق المناظر الطبيعية... فالبلور...موجوداً وفارغاً في آن واحدة، ... والمنظر الطبيعي غير واقعي وممتلئ."** [3]

إذاً الحضور لا يكون للاثنان معاً بل لواحد منهما على حساب الآخر، وهذا شيء ضروري في المنظومة الأسطورية، فالتحريف الذي تمتهنه يتم عبر تغييب المعنى الحرفي المتأتي عبر المنظومة اللغوية الأولى، بل إن هذا التحريف لا يتم إلا لأن الشكل الأسطوري مؤلف من معنى لغوي بالأساس لذلك عدّ بارت الأسطورة لغة فوق لغة أو ميتا لغة كونها نسق ثانٍ مبني على نسق أول، مهمة النسق الثاني أن تبقي جزءاً من النسق الأول لتنسج حوله حكاية ذات هدف وغاية فالزنجي يحرم من حكايته الأصلية ويبقى هو أي الجندي الفرنسي المحيي للعلم، لهذا السبب شبه بارت دلالة الأسطورة بالباب الدوار كناية عن التناوب المستمر بين الشكل والمعنى وبين اللغة الأولى واللغة الثانية، ومنطلق الأسطورة يكمن في إيصال معنى معين من جرّاء هذا التناوب، إن الأسطورة تخطف المعنى وتوجهه إلي بطريقة احترافية تحريفية، فمتصوّر الأسطورة تاريخ مسروق ومصاغ لغاية، إن الزنجي تاريخ يحكي عن الاستعمارية الفرنسية لكن في لحظة ظهوره وهو يحيي العلم شلّ هذا التاريخ وجمده وأعاد صياغته ليرينا أن العنصرية ذريعة وافتراء ليس إلاّ، إن الزنجي في مظهره ذاك أداة للتحريف ليس إلا.

تعمل دلالة الأسطورة على المشابهة والمماثلة بين الواقع الحقيقي والمزيف فحتى **"يمكن للاستعمارية الفرنسية أن تستوعب الزنجي الذي يحيي العلم يجب أن يكون هناك تماثل بين تحية الزنجي للعلم وتحية الجندي الفرنسي له"**[4] وتلك وسيلة أخرى للالتواء على الواقع.

---

[1] بارت رولان، أسطوريات، مرجع سابق، ص 247.

[2] بارت رولان، أسطوريات، مرجع سابق، ص 248.

[3] بارت رولان، أسطوريات، مرجع سابق، ص 253.

[4] بارت رولان، أسطوريات، مرجع سابق، ص 256.

7-الخاتمة:

إن كلاً من كاسيرر وبارت عالج الأسطورة بطريقة معاصرة أعطتها مكانة وأهمية عالية، واتفقا على أن الأسطورة لا يمكن دراستها من خلال موضوعها، فكاسيرر رفض الخوض بموضوعات الأسطورة المتعددة والمختلفة فهو لم يدرس الشمس أو القمر على سبيل المثال، بل درسها كبنية كلية تسعى إلى فهم العالم وتفسيره، كذلك بارت لم يدرسها عبر موضوع معين لأن أي موضوع قابل لأن يكون أسطورة لذا نظر إليها على أنها كلام أي منظومة تواصل وهذا يرجع إلى أن الأسطورة لا تكون كذلك إذا لم توصل رسالتها فهي الغاية التي أعدت من أجلها.

كلاهما ربط الأسطورة باللغة، لقد نظر كاسيرر إلى الأسطورة بوصفها نمطاً فكرياً يعمل على فهم العالم المبهم من خلال القدرات العقلية المتاحة، ولكن على الرغم من أنها نمط فكري إلا أن جوهرها يكمن في العاطفة فهي تعمل عبرها ومن خلالها، والسبب الرئيسي في ذلك هو أنسنة الطبيعة والتي تتم عبر إسقاط النفس الإنسانية على الطبيعة لفهمها من خلالنا، فالإنسان في هذا النمط جزء من الطبيعة التي ينظر إليها نظرة كلية غر مجزأة أو مقسمة، والنظرة الكلية تلك تنتج ما يسمى بوحدة الشعور التي من خلالها ينظر إلى الأحداث نظرة كلية وتفهم بطريقة تركيبية، إلا أن هذا الفهم يحتاج إلى اللغة ليُعبر عنه لفظياً عبر إطلاق المسميات وذلك يتم من خلال وجود حدث أثناء لحظة الانفعال الذي يستحوذ على الذات، فالتسمية في البنية الأسطورية هي خليقة اللحظة ، إن التسمية أو المفهوم الأسطوري يمتاز بالتفرد لأنه نتيجة انفعال الذات أمام حدث واحد بعينه، ويعتبر اللبنة الأولى في عملية الفهم لذا ومن هذه النقطة بالذات أولى كاسيرر اهتماماً شديداً باللغة كونها تقوم بموضعة الأشياء عبر مسمياتها، واهتمامه ذاك قاده للبحث عن الأصل الدفين وراء التسمية والذي وجده في الأسطورة، لأن أول طريقة تعبير عن الأشياء كانت في الأسطورة عبر المفهوم الأسطوري، وهذا التعبير لم يكن عادياً بل كان محاطاً بقوة سحرية أتت عبر اعتقاد الإنسان البدائي أن الطبيعة تحس وتفهم مثله فكلمته السحرية الذي يخاطب بها الطبيعة تعمل على قلب مجرى الأحداث لذا تكون بمثابة الأداة المشكلة للعالم، أيضاً يتم التعبير في هذا الشكل عبر الاستعارة والمجاز وهي طريقة يتم فيها فصل الحدث من مكانه الاعتيادي ونقله إلى مكان آخر.

لكن إذا كان كاسيرر يرى أن التعبير اللغوي مصدره الأسطورة، بمعنى أصل اللغة يكمن في الأسطورة، فإن بارت يرى أن مصدر الأسطورة يكمن في اللغة، فقد عدها المرتكز الأساسي لأشكالها المختلفة، وذلك إيماناً منه بأنها الحاضنة للمعنى الذي لا يمكن أن يوجد دون أن تترجمه اللغة، وهي أيضاً الأداة المشكلة للفهم، لذا جعل علم اللسانيات هو العلم الأساسي، وهو نتيجة مباشرة لافكاره حول الأسطورة، فسواء كانت متجلية في الفن أو السياسة أو على غلاف مجلة أو في نسق مجتمعي لا يحتاج للكلام ظاهرياً، فإن كل هذه الأشكال لا يمكن فهمها أو ترجمتها ونقلها وتوصيلها دون الولوج إلى اللغة، وعلى هذا الأساس رأى أن الإيحاء يلعب دوراً مهماً في تشكلها أي الأسطورة، عبر عملية دمج النسق اللغوي الأول ليصبح دالاً أسطورياً موحياً ضبابياً في النسق اللغوي الثاني، والذي يتشكل من شكل ومتصور ودلالة وهي ما اعتبرها ميتا لغة أو ما وراء اللغة والسبب في ذلك الاحتيال والتزييف الذي تمارسه على اللغة لتكون قصة ذات هدف وغاية تستهدف فئة بعينها.

إن الأسطورة عند بارت هي التواء وتحريف وتزييف للواقع وهذا ما تم توضيحه عبر الشكل والمتصور، الشكل المكون من معنى ممتلئ وشكلٍ فارغٍ يعمل على إنقاصه وتغييب تفاصيله ليبقيه على ما يريد، والمتصور الذي يمد الشكل بالمعنى المؤدلج والخاضع لغايات وأهداف معينة عبر تزييف التاريخ وقلب حقائقه.

بعكس كاسيرر الذي رأى أن الأسطورة هي الوسيلة الأولى للفهم، بل إنها الركيزة التي اتكأ عليها الإنسان لإعمال عقله وتطوير قدراته، ورأى أن اللغة تشترك مع الأسطورة في المنبع العقلي ذاته ومهمتها توضيح ما يجول في ذهن الإنسان أمام حدث معين فساعدت على الفهم، وعبر هذه الرؤية اكتسبت الأسطورة بالمنظور الكاسيرري معناً إيجابياً، أما بارت فالأسطورة عنده لا تهتم إلا بمصالحها وغاياتها عبر الغاية التي وجدت من أجلها بالأصل والمقصود بذلك الالتواء والتحريف.

في كلا الحالتين نرى أن هناك نقاط اتفاق واختلاف، حيث يظهر الاتفاق من حيث الأهمية التي أولياها للأسطورة وأيضاً في العلاقة الوطيدة باللغة، أما الاختلاف يكمن في النظر إليها، فكانت عند بارت تزييفاً للحقائق وكانت عند كاسيرر كشفاً للحقائق.

يمكن القول إن الأسطورة كنمط فكري تستحق الدراسة من حيث أنه لا يمكن اعتبارها محطة تم تجاوزها بل هي أداة تستطيع الظهور والتجلي بلبوسات مختلفة.

المصادر والمراجع:

المصادر الأجنبية:

1- Cassirer Ernest, the philosophy of symbolic forms, translated by Palph Manheim, yale university press,1981.

2- Barthes Roland, Roland Barthes by roland Barthes, translated by Ricarrd Howard, university of California,1977.

المصادر العربية

1- المسيري عبد الوهاب، اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، ط1، دار الشرق، 2002.

2- بارت رولان، أسطوريات، ترجمة توفيق قريرة، ط1، منشورات الجمل 2018.

3- بارت رولان، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، ط2، دار الحوار للنشر والتوزيع 1987.

4- سلامة أمين، الأساطير اليونانية والرومانية، دار الثقافة العربية، 1988.

5- كاسيرر أرنست، مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية أو مقال في الإنسان، تلرجمة إحسان عباس، دار الأندلس بيروت، 1961.

6- كاسيرر أرنست، اللغة والأسطورة، ترجمة سعيد غانمي، ط1، كلمة، 2009.

7- ولسن كولن، الإنسان وقواه الخفية، ترجمة سامي خشبة، ط2، دار الآداب بيروت، 1978.

8- نيتشه فردريك، مولد التراجيديا، ترجمة شاهر حسن عبيد، ط1، دار الحوار، 2008.

مجلات ودوريات:

1- شوفالييه جون وقيربرانت آلان، معجم الرموز، مجلة ألباب، العدد السادس، مؤمنون بلا حدود، 2015.